

نقد

دعوة إلى الحوار في «غاليري أجيال»

محمود حجيج أطياف البحر الميت

من خلال 20 عملاً، يقدم فنان الفيديو والمخرج اللبناني منظرًا بانورامياً لظلال الأرض المحتلة. مع ذلك، يعتبر فكرة معرضه We Need To Talk واسعة تنطبق على أي بقعة جغرافية... فما هي اللغة الفنية السياسية التي يحاول طرحها اليوم؟

ملك كموش

مشهد الأفق الضبابي البعيد الذي صنع بتكراره خيطاً ربط الصور المعروضة كخرزات عمود فقري، شكل ركيزة فكرة We Need To Talk لمحمود حجيج (1975). المعرض هو الأول من نوعه لمخرج حاز جوائز عالمية عدة عبر لغة الفيلم. وها هو يجمع اليوم 20 عملاً فنياً (تصوير فوتوغرافي ووسائط مختلفة) من أصل 24 في معرضه في «غاليري أجيال». ذات غروب من شهر نيسان (أبريل) 2010، وقف حجيج أمام شاطئ البحر الميت في الأردن متأملاً فلسطين البعيدة في الأفق، فكان أن صنع ذاكرة بصرية للمشهد، عبر لقطات فوتوغرافية طولية ارتسمت بدرجات مختلفة من ضوء المكان الطبيعي كما حددناه حدقتنا الشمس وعدسة الكاميرا. سبع من تلك اللقطات شكلت منظرًا بانورامياً لظلال الأرض المحتلة، وهي تلوح بين السماء وتموجات المياه. رتبها حجيج بندرج لوني من الأبيض والأزرق مروراً بشفق ذهبي وصولاً إلى اللون الداكن. أطلق حجيج على المجموعة اسم Repalestine ليفردها على مساحة جدار أبيض كلوحة متكاملة، أو كشاشة لسينما، محملاً كلاً من اللوحات عنواناً من مصطلح واحد يبدأ بالبادئة اللاتينية Re التي يدل وجودها في أول الكلمة على «إعادة» الشيء أو «تكراره». وتُتبع البادئة Re بفعل لغوي خاص بكل لوحة في المجموعة، أولها فعل الإزالة Remove مروراً بإعادة الخلق Recreate وإعادة الاكتشاف Rediscover في ما يشبه محاولة التفكير لإيجاد صيغة أو تصور جديد لفلسطين كما نريدها، هي البعيدة - القريبة التي نعرفها من خلال ما روي لنا عنها فقط، رغم أنها تشبهنا ونشبهها في العمق، كما جاء في نص التعريف بالمعرض الذي صاغه المخرج حجيج. وفيما الصورة هي لفلسطين، فإن النص أو فكرة المعرض ليسا حكراً على تلك الأرض أو القضية الفلسطينية كما يقول صاحب العمل، بل هي فكرة طيعة ومرنة، نستطيع ربطها بأي بقعة جغرافية، ولا سيما إذا اختزلت علاقتنا بها بالمسافة.

لا تنتهي مجموعة Repalestine بالإصلاح Repair. عنوان العمل السابع قائم الألوان. ينطلق حجيج منه لخلق مجموعة أخرى من الأعمال المركبة هي تنمة We Need To Talk. تنفرد كل لوحة بعنوانها ومضامينها، بينما يتكرر فيها مشهد من الأفق الفلسطيني ذاته باجترافات وبالندرجات اللونية المتنوعة كخلفية للوحة أضاف إليها المخرج غرضاً قديماً مهماً (صنبور، عادم سيارة قديم...). وفي بعض الأعمال، كان المشهد «جزءاً من كل» طوّع فيها حجيج الصورة بشكل مقتطع، كما في Resolve، أي «العمل على إيجاد حل» الذي ضم جزءاً من مشهد الغروب الأزرق إلى جانب قطعة من إشارة مرورية للوقوف وضعت داخل إطار صمم

على شكلها المثمن الأضلاع. من خلال هذا العمل، ربما أراد حجيج أن يربط البحث عن حلول بضرورة إيقاف سير أو سيل الأفكار المألوفة قبل المباشرة في الحوار. اللافت أن لا يعمل مخرج سينمائي على بناء فكرة معرض فني كما يفعل مع سيناريو فيلم. بعيداً عن التدرج اللوني والزمني في Repalestine، أسقط حجيج التسلسل من حساباته، وربّث بقية الأعمال من دون سابق تخطيط. في هذا الإطار مثلاً، كان Research، الذي ضم عادماً مهترئاً وصدئاً قد يعني وقد لا يعني شيئاً مع عنوان شامل كمصطلح «بحث». فيما أتى

ترتيباً بين عملين يحمل أولهما Return وفيه مسحة كاريكاتورية، حيث أضاف حجيج لوحة أزرار مصعد كهربائي. ويحمل الثاني عنوان Republish، حيث حضرت الحروف المعدنية لطباعة قديمة الطراز. في العملين صلة واضحة بين الغرض (item) والعنوان، وتماء تام مع مفهوم المعرض الشامل، لكن الفكرة كانت مباشرة ومستهلكة في Relay أي «تسليم أو تناقل»، الذي ضم مفتاحاً ضخماً بحفر قلب قفل صدئ، في إشارة إلى رمزية المفتاح في القضية الفلسطينية. والسؤال عما إذا كان قد وفق في توظيف «المفتاح» ضمن



Resolve
(تصوير
فوتوغرافي
ووسائط
مختلفة -
60 x 60
- 60 سنتم -
2012)

نحن في هذه المنطقة، سعياً إلى خلق تواصل حقيقي وفعل حول شؤوننا العربية، انطلاقاً من المسألة الفلسطينية، لترتقي بها إلى بعدها الإنساني.

We Need To Talk: حتى 29 أيلول (سبتمبر) - «غاليري أجيال» (الحمرا - بيروت). 01/345213

رمزية عامة في ظل خصوصيته الفلسطينية، هو الذي يشرح أن Repalestine ليست بالضرورة أرض فلسطين، بل تستطيع أن تكون أي أرض أو بلد، بل حتى أميركا. بدعم فكرته، فيذهب إلى أن الرسالة في We Need To Talk ليست موجّهة إلى الإسرائيلي، الذي لا يهمه التحوار معه، بل موجّهة إلينا

ZOOM

الصورة إذ تجردت من عناصرها السياسية

روي ديب

We Need To Talk عنوان المعرض الأول لمحمود حجيج الذي تابعنا سابقاً أعمال الفيديو، والأفلام القصيرة التي أنجزها، علماً بأنه يعكف حالياً على باكورته الروائية الطويلة. رغم صعوبة التواصل معها من دون العودة إلى عناوين اللوحات والدراسة مع الفنان، إلا أن أعمال معرضه الحالي تشير تأملات حول قراءة حجيج لعلاقة الفن بالسياسة. قد نشغل في البدء في محاولة التقاط مفتاح الطرح الفني، أو المفاهيمي في معرضه. بل إن تكرار اللقطة الأساسية التي تظهر بحراً وأرضاً، وسماً، مع إضافة الأشياء عليها، قد يشعرك بأنك في دوامة «زرقاء» ذات تاويلات مفتوحة إلى ما لا نهاية.

على جدار في وسط الصالة، هناك نص بالإنكليزية مقسم إلى ثلاثة أجزاء. كلام عن تحول النظر أو الرؤية إلى وجهة نظر، وحديث عن علاقتنا بالأمكن، والإسقاطات التي نرميها عليها، فنحولها إلى ما سمعناه عنها، أو ما أردناها أن تكون...

أعمال تتشابه، تحتوي صورة فوتوغرافية للمنظر ذاته: البحر، فالبر، فالسما، مع تغير متدرج في الإضاءة. إذاً هذا البحر الميت، فأرض فلسطين، فالسما. هي الأرض بشكلها، ومكوناتها الأساسية، والبدائية. لا بشر، لا بيوت، لا وطن ولا احتلال. فعلاً، يخبرك حجيج عن النقاط تلك الصور الفوتوغرافية منذ سنتين، من منطقة البحر الميت في الأردن. التقط الصور من دون تعديل وقدمها اليوم في المعرض، حيث حملت كل واحدة عنواناً خاصاً مثل: إعادة تنظيم، إعادة خلق، إعادة اكتشاف... كلها تحت عنوان: إعادة فلسطين.

أما الأعمال الأخرى، فقسّمها إلى جزئين. في الأول، أعاد استعمال تلك الصور، محافطاً على حجم الطبع ذاته، لكنه هذه المرة أضاف أحد الأغراض التي ما عاد يستعملها من منزله. في واحدة حنفية مياه، وفي أخرى مرآة، وقطعة من آلة طباعة، ومفتاح... أما في القسم الثالث، فقد أجرى

تعديلات على الصورة الفوتوغرافية، فكرها، أو جزأها، وأضاف إليها أشياء استعارها من المدينة ليجمعها مع الصورة. جزء من إشارة «قف» ولوحة الأرقام التابعة للمصاعد، وغيرها. في We Need To Talk، تختلط الأوراق. هي أرض فلسطين، أو أي أرض أخرى، يقول لنا حجيج. تاريخ البلدان يتشابه من الولايات المتحدة حتى جنوب أفريقيا. الكل كان يوماً أرضاً محتلة. كان يوماً فلسطين.

إن المينمالية التي يطرح عبرها حجيج أعماله العشرين في المعرض، تجتمع تفاصيلها لتقدم معاً طرحاً سياسياً ومعالجة فنية. أما خيار حجيج في العودة إلى مكونات الأرض الطبيعية دون البشر، فهو ربما لتجريد الصراع من وجهات النظر والانطلاق من المسلمات الأساسية: مياه، أرض، هواء. طرح يمشی باتجاه مختلف للصور الفوتوغرافية التي رافقت تلك القضية بالتحديد، من صور المجازر،

إلى أطفال الحجارة، أو أيقونات مثل بورتريه ليلي خالد بالكوفية والسلاح. لماذا يتخذ حجيج ذلك الخيار اليوم؟ في المعنى الأشمل للطرح السياسي، هل استنفدت الصورة المباشرة، وما عادت تأتي فعلها؟ فأصبح ملحاً اليوم البحث عن صورة جديدة، تطرح أسئلة مختلفة؟ أم أن الزمن الفني الذي نعيش فيه اليوم يفرض البحث عن لغة فنية مختلفة؟ اللافت هنا أن التجريد والمينمالية هما عادة لغة خطاب السلطة الأقوى. وفي الحالة المذكورة، هي اللغة التي استعملتها وتستعملها «إسرائيل»: «هذه أرض الميعاد، هي حقنا. وأما الفلسطينيون فهم إرهابيون». بينما الخطاب الفلسطيني هو أكثر تعقيداً، وتفصيلاً، ومباشرة، بغية إثبات الحق المغتصب. ليست الخطورة في تجريد التعقيدات ومحو التفاصيل، فيعجز العمل الفني السياسي عن بلوغ مشاهدته، ويختفي الطرح؟

لمحة

سيرته

مصوّر ومخرج وفنان فيديو من جيل ما بعد الحرب الأهلية اللبنانية، أنجز حوالي 30 فيلماً روائياً قصيراً وتسجيلياً ونال جوائز عدة. في عام 2006، نال محمود حجيج (1975) شهادة دكتوراه في الإعلام والاتصال من European Graduate School في سويسرا. كما حاز شهادة الماجستير في الإعلام من New School University في نيويورك عام 2001، إضافة إلى إجازة في فنون الاتصال من الجامعة اللبنانية الأميركية في بيروت LAU عام 1997، تدرّس كتب حجيج الثلاثة عن التصوير الفوتوغرافي في جامعات لبنانية عدة. وقد نشر مقالات عديدة تتناول عالم الفيديو، وها هو يعمل حالياً على باكورته الروائية الطويلة Stable Unstable.

Relay (تصوير
فوتوغرافي
ووسائط مختلفة
- 60 x 60
- سنتم -
2012 -
تفصيل)

